الاحتجاج للقراءات القرآنية في خاتمة سورة يوسف

وأثره في المعنى

بحثٌ مقدّم للمؤتمر القرآنيّ الدوليّ السّنوي (مقدّس 4) المنعقد في مركز بحوث القرآن
بجامعة مالايا—كوالالمبور. ماليزيا.

مقدّم من الباحثَتيْن

إهداء محمد رشاد شريف.
مُنى محمّد الشّاهد.

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى

2014م

المقدِّمـة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علّم بالقلم, علّم الإنسان ما لم يعلم, والصلاة والسلام على إمام المرسلين, وخاتم النبيين, محمد المبعوث رحمة للعالمين, وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنّ القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي لا يزيدها التقدم العلمي إلا رسوخاً في الإعجاز، ومن فضل الله على الإنسان أنّه لم يتركه في الحياة يستهدي بما أودعه فيه من فطرة سليمة فحسب، بل بعث إليه رسولاً يحمل من ربّه فرقاناً يبشّر وينذر، ويهدي ويرشد، ومن هنا تبرز أهمّية الدّراسة القرآنية وإيثارها على الدّراسات الأخرى، لاسيّما علم القراءات الّذي هو ذِروة سنامِ العلوم القرآنيّة؛ لاتّصاله بكتاب الله تعالى اتصالاً وثيقاً؛ فهو يخدم تدبّر القرآن, وفهمه, ومعرفة معانيه، من حيث كون قراءة كلمةٍ بوجهين أو أكثر ممّا يعين على إضافة معانٍ لا يمكن فهمها من قراءة واحدة، وقد اعتنى علماء المسلمين بهذا الموضوع ولم يغفلوه؛ فكتب التفسير وتوجيه القراءات ثريّةٌ باحتوائها على جوانب مغزارةٍ في هذا الموضوع, إلا أنها لم تدرسه مفرداً, وإنّما كانت توضّح حجّة كلّ قراءةٍ، وتورد بعض الأقوال المبثوثة هنا وهناك, غاضّةً الطّرف- في الأغلب- عن الفوائد واللّطائف التي تتحقق من خلال الاختلاف في القراءات القرآنيّة.

لذا كان من الجدير البحثُ في هذا الموضوع, وجمعُ كلّ ما يتعلّق به، وإفراده وتصنيفه وبيان المعاني والفوائد واللّطائف التي تضمنتها القراءات, وبيان الإعجاز القرآنيّ الظاهر في تعدد القراءات الذي هو بمنزلة تعدّد الآيات.

فجاء عنوان بحثيَ : (الاحتجاج للقراءات القرآنية في خاتمة سورة يوسُفَ و أثره في المعنى).

- **أهمية الموضوع, وأسباب اختياره:**

شرفُ علم القراءات وفضلُه, وشدّةُ تعلّقه بكتاب الله عزّ وجل, والرّغبة في خدمةِ كتاب الله تعالى، والعيشِ بين قراءاته ومعانيه, واعتبارُ القراءات مصدرًا مهمًا من مصادر الاحتجاج النّحويّ واللُّغويّ, بالإضافة إلى كون علم الاحتجاج للقراءات من العلوم المعينة على تدبّر الآيات؛ وذلك من خلال ربطه بالتفسير، وبيان أثر اختلاف القراءات في المعاني, ومن الأسباب أيضًا: عدم وجود مؤلفات كافية تهتم بجمع اختلاف القراءات، وتبيّن أثرها في المعاني, بالإضافة إلى توصيات العلماء والباحثين بالبحث في هذا الموضوع، وإخراجه وُفق منهجٍ علميٍ أصيل.

أمّا اختياري لسورة يُوسف –عليه السلام– خاصّة, فعائدٌ لما في هذه السّورة من فوائدَ عظيمةٍ، وأحكام جليلةٍ استنبطها العلماء, وجمعها بعضهم في كتب, فأحببت أن أزيد على تلك الفوائد, ما خرجتُ به من أثرٍ لاختلاف القراءات، ولو في آية من ختامها تجمع مقصدها الأمّ.

- خطة البحث:

قسمتُ البحث إلى : مقدمة, وثلاثة مباحث, وخاتمة.

تتضمّنُ المقدمة عُنوان البحث, وأسباب اختياره، وأهميته, وخطة البحث, ومنهجي فيه، **وفي المبحث الأوّل** تعريف بعلم الاحتجاج, وبيان مصطلحاته, وأنواعه، ثم اشتمل **المبحث الثاني** على وقفةٍ بين يدي سورة يُوسف, تضمّ تعريفاً بها, ووجه تسميتها, وذكر بعض مقاصدها, وأوجه من مناسبتها لما قبلها من السّور، ولما احتوته من تناسب بين أغراضها وختامها.

أمّا **المبحث الثالث**: القراءات والمعنى **فتضمّن مطلبين**؛ الأوّل: أثرُ اختلاف القراءات في تفسير المعنى، الثاني: الاحتجاج للقراءات القرآنية في خاتمة سورة يُوسف وارتباطه بالمعنى، **ثمّ كانت الخاتمة**، وفيها مجمل نتائج وتوصياتِ الدّراسة.

- منهج البحث:

سلكت في معالجة هذا البحث المنهج الاستقرائيّ الوصفيّ, واكتفيتُ بذكر اختلاف القرّاء في موضعين من خاتمة السّورة, والاختلاف في هذيْن الموضعيْنِ من ضمنِ الخلافات الفرشيّة التي اختُصّت بها سورة يُوسف.

وأخيرًا فإني أشكر الله وأحمده –حمدًا كثيرً طيبًا مباركًا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه– على أن وفّقني لهذا العمل، وشرّفني بخدمة العلم وأهله، وأسأله أن يرزقني الإخلاص والقبول، وأن يعود هذا البحث بالخير والنفع على الإسلام والمسلمين.

… … … … … … …

المبحث الأول : الاحتجاج

1– تعريف ومصطلحاته:

- الاحتجاج لغة:

افتعالٌ من الحَجِّ، وهو القصد (1), والاحتجاج هو: تقديم الحجة (2), واحتج بالشيء: اتخذه حجة (3) .

والحجة : الدليل, والبرهان, وما دوفع به الخصم(4).

وقال الليث: (الحجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة)(5) , وجمعها حجج وحجاج (6) .

قال الأزهريّ: وإنما سميت حجّة لأنها تُحجّ أي تُقصد؛ لأن القصد لها وإليها. وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك(7).

- **الاحتجاج اصطلاحاً:**

ما يستخلص من كتب الاحتجاج من معناه أنه: علم يقصد منه تبيين وجوهِ وعللِ القراءات، من حيث اللغة والإعراب والمعنى, والإيضاح عنها والانتصار لها (8).

يقول الدكتور سعيد الأفغاني: (وكلمة الحجة في هذا الفن لا يراد بها الدليل، لأن دليل القراءة صحة إسنادها وتواترها، وإنما يراد بها وجه الاختيار, لماذا اختار القارئ لنفسه قراءته من بين القراءات الصحيحة المتواترة التي أتقنها؟ فهي تعليل الاختيار لا دليل صحة القراءة، إذ القراءة صحيحة في نفسها لتواترها لا لعلل اختيار قراء لها)(9).

- **مصطلحات علم الاحتجاج:**

لهذا العلم أسماء أخرى عُرف بها, واصطلح عليها من ألّف فيه, نحو: (وجوه القراءات), و (علل القراءات), و (معاني القراءات), و (إعراب القراءات), و (توجيه القراءات) (10) .

ومن هنا جاء لفظ الاحتجاج للقراءات القرآنيّة.

---

1 – يُنظر: لسان العرب لمحمد بن مكرم، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري, مادة حجج (2/ 228), دار صادر– بيروت, ط: 3 – 1414هـ .

2 – كما يعرفه الدكتور عبد الفتاح شلبي في بحث له بعنوان: (الاحتجاج للقراءات بواعثه وتطوره وأصوله وثماره), نشر في مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي التي تصدرها كلية الشريعة بجامعة أم القرى (العدد الرابع: 1401 هـ – ص 87).

3 – يُنظر: لسان العرب لابن منظور, مادة حجج (228/2).

4 – يُنظر: المرجع السابق.

5 – يُنظر: تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الأزهري الهروي، أبو منصور, تحقيق: محمد عوض مرعب, (3/ 251), دار إحياء التراث العربي – بيروت , ط:1, 2001م.

6 – يُنظر: لسان العرب, مادة حجج (2/ 228).

7 – يُنظر: تهذيب اللغة للأزهري ، (3/ 251).

8 – يُنظر: مقدمة تحقيق شرح الهداية للإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي, تحقيق: د. حازم سعيد حيدر, (ص 18), دار عمار – الأردن, ط 1 – 1427هـ , وصفحات في علوم القراءات للدكتور عبد القيوم عبد الغفور السندي (1/ 286), المكتبة الإمدادية, ط: 1- 1415 هـ.

9 – بتصرف من مقدمة تحقيق (حجة القراءات) للإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة, تحقيق: سعيد الأفغاني, (ص34-35), مؤسسة الرسالة- بيروت, ط: 5, 1418هـ.

10 – يُنظر: مقدمة تحقيق شرح الهداية (ص21).

وقد اهتم العلماء بهذا العلم قديمًا وحديثًا؛ دفاعًا عن القراءات الصحيحة, وردًّا على من أنكرها أو أنكر بعضها وضعّفها.

وكان من المعقول في المنهج العلميّ الصحيح أن يُحتج للمذاهب اللُّغويّة والنَّحْويّة بالقراءات المتواترة, لا أن يُحتج بمذاهب اللغة للقراءات, لما توافر لها من الضبط والتحرّي والوثوق شيء لم يتوافر بعضه لأوثق شواهد العربيّة, ولأن الاحتجاج لها بالنحو وشواهده عكس للوضع الصحيح⁽1⁾, وبهذا نجد أن المنهج السليم والوضع الصحيح هو جعل القراءات حاكمةً لا محكومةً, كما فعل أبو حيان الأندلسيّ, وتلميذه السمين الحلبيّ في ثنايا كتابيهما (البحر المحيط) و (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون)⁽2⁾.

2- أنواع الاحتجاج للقراءات: من أبرزها ما يلي:

1 – الاحتجاج للقراءة بآيات قرآنية أخرى – بما فيها من قراءات –.

من أمثلة ذلك: ما ذكره مكيّ بن أبي طالب عند توجيهه لقوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ [النور: ٤٥] , حيث قال: (قرأه حمزة والكسائي ﭽ خَالِقُ ﭼ ، بألف والرفع، و ﭽ كُل ﭼ بالخفض على إضافة ﭽخالق ﭼ إلى ﭽ كل ﭼ, و دليله إجماعهم على قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ [الأنعام: ١٠٢] , وقرأ الباقون: ﭽ خَلَق ﭼ ، على الماضي ونصبوا: "كلًا" به. ودليلهم إجماعهم على قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ [إبراهيم: ١٩])⁽3⁾.

2- الاحتجاج بالمعنى التفسيريّ وأسباب النّزول.

مثال ذلك: ما ذكره ابن أبي مريم في موضحه ⁽4⁾ عند ذكر قوله تعالى: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ [البقرة: ١٢٥] قال: (وقرأ الباقون: ﭽ ﯠ ﭼ بكسر الخاء على الأمر؛ لما جاء في الأثر أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أخذ بيد عمر، فلما أتيا على المقام، قال عمر: أهذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال صلى الله عليه وسلّم: نعم، قال عمر: أفلا نتخذه مُصلَّى؟ فأنزل الله تعالى: ﭽ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ [البقرة: ١٢٥])⁽5⁾.

---

1 – يُنظر: مقدمة تحقيق (حجة القراءات) (ص 17 – 18).

2 – يُنظر: مقدمة تحقيق شرح الهداية (ص 21).

3 – يُنظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها, لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي, ت: الشيخ عبد الرحيم الطرهوني, (2/ 242– 243), دار الحديث – القاهرة, ط: 1428هـ – 2007م.

4 – الموضح في وجوه القراءات وعللها لنصر بن علي الشيرازي المعروف بابن أبي مريم, (1/ 299), رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في فرع اللغة, تحقيق ودراسة: عمر حمدان الكبيسي, إشراف: أ. د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي, جامعة أم القرى –كلية اللغة العربية.

5 – الأثر غريب بهذا اللفظ, ويقرب منه ما أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية مجاهد عن ابن عمر «أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم أخذ بيد عمر –رضي اللَّه عنه– فمر على المقام فقال له: يا نبي اللَّه هذا مقام إبراهيم؟ قال: نعم. قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل اللَّه تعالى (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) – الآية, ثم قال: هذا حديث

3- الاحتجاج بالقياس اللُّغويّ والنَّحويّ والصرفيّ .

من أمثلة الاحتجاج النَّحْويّ: ما ذكره مكّي بن أبي طالب عند توجيه قوله تعالى: ﭽ ژ ژ ڑ ڑ ک ککک ﭼ [البقرة: ٢٨٤]

قال: (وحجّة من جزم: أنه عطفه على: ﭽ ڎ ﭼ [البقرة: ٢٨٤] , الذي هو جواب الشرط، وحجّة من رفع: أن الفاء يستأنف ما بعدها, فرفع على القطع مما قبله، إما أن يكون أضمر مبتدأ على تقدير: فالله يغفر ويعذب، ويجوز أن يكون الفعل مقدرًا, فتكون جملة معطوفة على فعل وفاعل على مثلها، والتقدير على هذا: فيغفر الله لمن يشاء ويعذب من يشاء)⁽1⁾.

4- الاحتجاج برسم المصحف.

مثاله: قرأ ابن عامر ﭽ قالوا ﭼ من قوله تعالى: ﭽ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ﭼ [البقرة: ١١٦] بغير واو، وقرأها الباقون ﭽ ڈ ﭼ بالواو⁽2⁾. وقد جاءت قراءة ابن عامر موافقة لرسم المصحف الشامي، وقراءة الباقين موافقة لرسم بقية المصاحف⁽3⁾.

5- الاحتجاج بالرواية والسند.

نُقل عن الدانيّ قوله: (وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن، على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية. بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت لا يردّها قياس عربية، ولا فشوّ لغة، لأن القراءة سنّة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها)⁽4⁾.

المبحث الثاني: بين يدي سورة يوسف

1- التعريف بها:

أولا: اسمها الأوحد هو "سورة يوسف" ⁽1⁾.

صحيح ثابت من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر، غريب من رواية- مجاهد. تفرد به جعفر بن محمد المدائني عن أبيه عن هارون الأعور عن أبان بن تغلب عن الحكم عن مجاهد. يُنظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني, (3/ 302), الناشر:السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ. وفي الصحيحين عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال عمر رضي اللَّه عنه «وافقني ربي في ثلاث- فذكر الحديث» وفيه «قلت يا رسول اللَّه، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت» .

1 - الكشف لمكي بن أبي طالب (1/ 369).

2 - يُنظر: النشر في القراءات العشر لشمس الدين ابن الجزري, ت: علي محمد الضباع, (220/2), المطبعة التجارية الكبرى.

3 - يُنظر: المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني, تحقيق: محمد الصادق قمحاوي, مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة, ص102. وكذلك النشر لابن الجزري (220/2).

4 - يُنظر: جامع البيان في القراءات السبع لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني, (2/ 860), جامعة الشارقة – الإمارات, (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة), ط:1، 1428 هـ - 2007م.

ثانيًا: وجه تسميتها أنها قصّت قصة يوسف- عليه السلام- كلها، ولم تُذكر قصته في غيرها من سور القرآن، ولم يُذكر اسم يوسف عليه السلام في غيرها إلا في سورة الأنعام وغافر, وفي هذا الاسم تميّز لها من بين السور المفتتحة بحروف ﭽ ﮔﭼ, ولذلك أضيفت كل واحدة منها إلى نبيّ أو قومِ نبيٍّ؛ عوضا عن أن يقال: ﭽ ﮔﭼ الأولى و ﭽ ﮔﭼ الثانية، وهكذا فإن اشتهار السور بأسمائها أول ما يشيع بين المسلمين بأولى الكلمات التي تقع فيها وخاصة إذا كانت فواتحها حروفا مقطّعة، فكانوا يدعون تلك السور بـ "آل حم" و"آل الر" ونحو ذلك (2).

ثالثاً: عدد آياتها مائةٌ وإحدى عشرةَ آيةً باتفاق علماء العدد(3) في الأمصار(4).

رابعًا: مكان نزولها وترتيبه: هي سورة مكية (5), نزلت بعد سورة هود، وقبل سورة الحجر(6), وهي السورة الثالثةُ والخمسون في ترتيب نزول السور على قول الجمهور(7).

ولم تذكر قصة نبيٍّ في القرآن بمثل ما ذُكرت قصة يوسف- عليه السّلام- في هذه السورة من الإطناب (8).

2- ذكر بعض مقاصد السورة:

لسورة يوسف - عليه السّلام- مقاصد جمّة، أذكر منها ما يرتبط ارتباطاً مباشراً بمقصدها الأعظم؛ ففيها بيان لقصة يوسف- عليه السلام- مع إخوته، وما لقيه في حياته، وما في ذلك من العبر من نواح مختلفة، وفيها أصولٌ لتعبير الرؤيا, وإثبات أن بعضها قد يكون إنباءً بأمور غيبية، وذلك من أصول النبوءات وأصول الحكمة، ووقوع التّحاسد بين القرابة، ولطف الله تعالى بمن يصطفيه من عباده،

---

1 - يُنظر: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي, (12/ 197), الدار التونسية للنشر - تونس, 1984 هـ.

2 - يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (11/ 77) و (12/ 197).

3 - علماء العدد: هم سبعة على المشهور: المدني الأول، والمدني الأخير، والمكي، والبصري، والدمشقي، والحمصي، والكوفي. يُنظر: الفرائد الحسان في عد آي القرآن, لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي, (ص25), مكتبة الدار بالمدينة المنورة, ط:1, 1404 هـ.

4 - يُنظر: البيان في عدّ آي القرآن لعثمان بن سعيد الداني, ت: غانم قدوري الحمد, (ص 167), مركز المخطوطات والتراث - الكويت, ط:1، 1414هـ- 1994م, والإتقان في علوم القرآن, لجلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم, (1/ 233), الهيئة المصرية العامة للكتاب, ط: 1394هـ/ 1974م.

5- يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (12/ 197), وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, لشهاب الدين الألوسي, ت: علي عبد الباري عطية, (6/ 362), دار الكتب العلمية – بيروت, ط:1، 1415هـ, والبيان في عدّ آي القرآن للداني (ص 167), والإتقان للسيوطي (1/ 233), والجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي, لأبي عبد الله شمس الدين القرطبي, تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, (9/ 118), دار الكتب المصرية–القاهرة, ط:2، 1964م.

6 - يُنظر: تفسير الألوسي (6/ 362), والتحرير والتنوير لابن عاشور (12/ 197).

7 - يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (12/ 197).

8 - يُنظر: المرجع السابق.

والحث على التحرُّز وأخذ الحيطة ممّا يخشى ضرره، وتسلية النبي صلى الله عليه وسلّم بما لقيه يعقوب ويوسف- عليهما السلام- من الهم من الأذى، وقد لقي النبي صلى الله عليه وسلم من آله أشد ما لقيه من عداء كفار قومه، وبيان عظم صبر الأنبياء مثل يعقوب ويوسف- عليهم السّلام- على البلوى, وحسن عاقبة ذلك، و معرفة أن الإخلاص لله تعالى هو أكبر الأسباب لحصول الخير واندفاع الشر، ووجوب البعد عن أسباب الفتن, والهرب منها عند وقوعها، والحث على الالتجاء إلى الله تعالى والتضرّع إليه دائمًا في الرّخاء والشّدة، وجواز بثّ الشّكوى على وجه لا يكون معه تبرّمٌ ولا تسخّط، و إقرار أن الأنبياء والأصفياء هم أشدّ الناس بلاء، وأن العبرة في حال العبد بكمال النهاية, لا بنقص البداية، وفيها عبر من تاريخ الأمم الغابرة والحضارات القديمة، إلى غير ذلك من الفوائد والمقاصد [1].

3- وجه المناسبة فيها:

أولًا: وجه مناسبتها للسورة التي قبلها:

اشتمالها على شرح ما قاساه بعض الأنبياء -عليهم السلام- من الأقارب، وفي الأولى ذكر ما لقوا من الأجانب، وأيضا قد وقع فيما قبل: ﭽ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □□ ﭼ [هود: ٧١], وقوله سبحانه: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭱ ﭼ [هود: ٧٣], ووقع هنا حال يعقوب مع أولاده وما صارت إليه عاقبة أمرهم مما هو أقوى شاهد على الرّحمة، وقد جاء عن ابن عباس وجابر بن زيد أن يونس نزلت، ثم هود، ثم يوسف، وعُدَّ هذا وجهاً آخر من وجوه المناسبة[2].

ثانيًا: مناسبة خاتمة السّورة لمقصدها:

اختُتمت سورة يوسف -عليه السّلام- بقوله تعالى : ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﯠ ﯡ ﯢ □ □
□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □ □ ﭼ [يوسف: 110- 111].

هذه الخاتمة مناسبةٌ للمقصد الأعظم من السّورة؛ إذ أن سورة يُوسف اختُصَّت بحصول الفرج بعد الشدِّة، بخلاف غيرها من القصص, فإن مآلها إلى الوبال، كقصة إبليس وقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم, فلما اختُصّت هذه القصة في سائر القصص

---

1 - يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (12/ 198- 199- 200), و فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام, لعبد الرحمن بن ناصر السعدي, المحقق: أشرف بن عبد المقصود أبو محمد,الناشر:أضواء السلف, 1420هـ - 200م, وكتب التفسير تزخر بذكر تلك الفوائد منثورة في ثنايا التفسير.

2 - يُنظر: تفسير الألوسي (6/ 362).

بذلك, اتفقت الدّواعي على نقلها لخروجها عن سمت القصص(1)، و قد دلت الآية : ﭽ ﮋ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٔ ۋ ۋ ﯣ ﯣ ۋۡ ې ې ﭖ ﭖ □ □ □ □ ﭼ على حصول الفرج والنصر بعد يأس الرسل من أقوامهم وتكذيبهم، وحصول النجاة لمن قُدر لهم وشاء الله خلاصهم، وأخذ القوم المجرمين ببأس الله الشّديد.

أما قوله تعالى: ﭽ□ □ □ □ □ □□□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ﯾ ﯾ □ □ □ □ ﭼ فيقول الإمام البقاعي رحمه اللّه: (ولما ذكر سبحانه هذه القصص كما كانت، وحث على الاعتبار بها بقوله: ﭽ ﭢ ﭣﭼ وأشار إلى أنه بذلك أجرى سنته وإن طال المدى، أتبعه الجزم بأن في أحاديثهم أعظم عبرة، فقال حثاً على تأملها والاستبصار بها: ﭽ□ ﭼ أي كوناً هو في غاية المكنة ﭽ □ □ ﭼ أي الخبر العظيم الذي تلي عليك تتبعاً لأخبار الرسل الذين طال بهم البلاء حتى استيأسوا من نوح إلى يوسف ومن بعده - على جميعهم أفضل الصلاة والسّلام والتحية والإكرام, ﭽ □ﭼ أي عظة عظيمة وذكرى شريفة, ﭽ □□ ﭼ أي لأهل العقول الخالصة من شوائب الكدر يعبرون بها إلى ما يسعدهم بعلم أن من قدر على ما قص من أمر يوسف عليه السلام وغيره قادر على أن يعز محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويعلي كلمته وينصره على من عاداه كائناً من كان كما فعل بيوسف وغيره, إلى غير مما ترشد إليه قصصهم من الحكم وتعود إليه من نفائس العبر) (2).

المبحث الثالث: القراءات والمعنى

المطلب الأول: أثر اختلاف القراءات في تفسير المعنى

وهو على قسمين:

القسم الأول : **قراءات لها أثر في تفسير الآية وبيان معناها. وهو ما اختلف لفظه ومعناه**, وهو على نوعين (3):

---

1 - يُنظر: البرهان في علوم القرآن, لأبي عبد الله الزركشي, ت: محمد أبو الفضل إبراهيم, (3/ 29 -30), دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاؤه, ط:1، 1376هـ , والإتقان للسيوطي (3/ 231- 232).

2 - نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، للإمام البقاعيّ, (10/ 259-260), دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

3 - يُنظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام, لمحمد بن عمر بن سالم بازمول, (ص 307), دار الهجرة - الثقبة - ط:1, 1417هـ, والتحرير والتنوير لابن عاشور (1/ 51).

أ–ما اختلف لفظه ومعناه مع جواز اجتماعهما في شيءٍ واحد, لعدم تضادّ اجتماعهما فيه. ومنه اختلاف القراء في حروف الكلمات على نحو يغير المعنى, نحو: ﭽ □ □ ﭼ [البقرة:٢٥٩], بالراء والزاي, والمراد بهما: العظام، والإنشارُ: هو الإحياء، والإنشاز: هو التّحريك ورفع بعضها إلى بعض، والحياة حركة، فلا فرق بينهما (1).

ب– ما اختلف لفظه ومعناه مع عدم جواز اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

ومنه اختلاف الحركات الذي يختلف معه معنى الفعل، نحو قوله تعالى: ﭽ ﮐ ۇ ۆ ۇ ۆ ۆ ۉ ۉ ۇ ۋ ۋ ﭼ [الزخرف: ٥٧], قرأ نافع بضم الصّاد، وقرأ حمزة بكسر الصّاد، فالأولى بمعنى: يصدون غيرهم عن الإيمان، والثانية بمعنى: صدودهم في أنفسهم، وكلا المعنيين حاصل منهم (2).

القسم الثاني: قراءات لا أثر لها في تفسير الآية ومعناها، وإنما هي أمور ترجع إلى اللغة نحواً، وصرفاً ونحو ذلك, للتيسير ورفع الحرج عن الأمة, وهو على نوعين(3):

أ– ما اختلف لفظه واتحد معناه: ومنه اختلاف القرّاء في حروف الكلمات على نحو لا يغيّر المعنى, نحو: ﭽ ﭨ ﭼ, فقد تُقرأ بالصّاد والسّين والإشمام(4)، وهذا كله مما يطلق عليه أنه لغات فقط (5).

ب– ما اتّحد لفظه ومعناه: وذلك مما يتنوّع صفة النطق به, كالمدّ والقصر وتخفيف الهمز(6) والإظهار والإدغام والرَّوم(1) والإشمام,

والإشمام,

---

1 – يُنظر: النشر لابن الجزري (1/ 49– 50), وصفحات في علوم القراءات للسندي (ص 132– 134).

2 – يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (1/ 55).

3 – يُنظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام لبازمول (ص 307), و التحرير والتنوير لابن عاشور (1/ 51).

4 – المراد بالإشمام هنا: هو خلط صوت الصاد بالزاي, والإشمام في الأصل هو: إطباق الشفتين عقب تسكين الحروف, من غير صوت, للإشارة إلى حركته الأصلية وهي الضم, ويدرك الإشمام بالعين ولا يراه الأعمى, ويكون في المرفوع والمضموم في حال الوقف. وله معانٍ أخرى غير هذا عند علماء القراءات في حال الوصل, وهي: 1– خلط صوت الصاد بالزاي كما سبق. 2– خلط الكسرة بالضمة: وذلك في نحو "قِيلَ" "وغِيضَ" عند من قرأه بالإشمام، وكيفيته هنا: أن يتلفظ القارئ بحركة مركبة من جزءين ضمة وكسرة، جزء الضمة أولا وهو الأقل، يليه جزء الكسرة وهو الأكثر. 3– ضم الشفتين مقارنا لسكون الحرف المدغم، وذلك في لفظ "تَأْمَنَّا" [يوسف: 11] على أحد الوجهين فيه لمعظم القراء، وفي إدغام السوسي ما كان مرفوعا على وجه عنده. يُنظر: الوافي في شرح الشاطبية لعبد الفتاح بن عبد الغني القاضي, (1/ 157) مكتبة السوادي للتوزيع, ط:4, 1412 هـ, وجامع البيان للداني (2/ 831), ومقدمات في علوم القراءات لمحمد أحمد القضاة، وأحمد خالد شكرى، ومحمد خالد منصور, (136–137), دار عمار – عمّان, ط:1, 1422هـ.

5 – يُنظر: النشر لابن الجزري (1/ 49– 50), وصفحات في علوم القراءات للسندي (ص 132– 134), والتحرير والتنوير لابن عاشور (1/ 55).

6 – لما كان الهمز أثقل الحروف نطقا ، وأبعدها مخرجا ، تنوع العرب في تخفيفه بأنواع التخفيف، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم له تخفيفا, وأنواع تخفيفه أربعة: التسهيل, والإبدال, والحذف, والنقل, يُنظر: الإتقان للسيوطي (340/1), والبرهان في علوم القرآن للزركشي (320/1–321), والهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر لمحمد سالم محيسن, (1/ 185–186), دار الجيل – بيروت، ط:1, 1417 هـ.

وترقيق الرّاءات, وتفخيم اللّامات, ونحو ذلك مما يُعَبِّرُ عنه القرّاء بـ (الأصول) [2].

مثاله: ﭽ ﭼ ﭼ [الأعراف: 156] بسكون الياء وفتحها [3].

قال صاحب التحرير والتنوير: (ومَزيَّة القراءات من هذه الجهة عائدةٌ إلى أنها حفظت على أبناء العربية ما لم يحفظه غيرها, وهو تحديد كيفيات نطق العرب بالحروف في مخارجها وصفاتها، وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق بتلقي ذلك عن قرّاء القرآن من الصحابة بالأسانيد الصحيحة، وهذا غرض مهم جدّاً, لكنه لا علاقة له بالتفسير؛ لعدم تأثيره في اختلاف معاني الآيات, وفيها أيضاً سعة من بيان وجوه الإعراب في العربية؛ فهي لذلك مادة كبرى لعلوم اللغة العربية) [4].

المطلب الثاني: الاحتجاج للقراءات القرآنية في خاتمة سورة يوسف وارتباطه بالمعنى

تركّز البحث على ما ورد من خلافات فرشيّة في خاتمة السّورة، وقد وردت الخلافات الفرشيّة في قوله عزّ وجل: ﭽ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٔ ۋ ۋ ۅ ۅ ۋۅ ې ې ٻ ٻ □ □ □ □ ﭼ [يوسف: ١١٠].

أولًا: اختلافهم في قوله تعالى: ﭽ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٔ ۋ ۋ ﭼ [يوسف: ١١٠].

أولا: القراءات:

قرأ الكوفيون وأبو جعفر بتخفيف الذال ﭽۋﭼ وقرأ الباقون بتشديدها ﭽكُذِّبُواﭼ [5].

ثانيًا: الاحتجاج للقراءات:

أ– الاحتجاج لقراءة ﭽۋﭼ بالتخفيف:

أصل الكَذِب: نقيضُ الصِّدْقِ؛ فمن خفّف ﭽۋﭼ : فهو من كَذَبْتُك الحديث، أي: لم أصدقك [1].

---

[1] – الروم هو: الإتيان ببعض الحركة بحيث يسمعها القريب المصغي دون البعيد، ويقدّر الباقي من الحركة بثلثها، أو هو: تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها, ويكون الروم في المرفوع والمجرور. يُنظر: جامع البيان للداني (2/ 829), ومقدمات في علوم القراءات (136).

[2] – يُنظر: النشر لابن الجزري (1/ 30), والتحرير والتنوير لابن عاشور (1/ 51).

[3] – يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (1/ 51).

[4] – يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (1/ 51).

[5] – يُنظر: السبعة في القراءات, لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي, المحقق: شوقي ضيف, (ص351– 352), دار المعارف – مصر, ط:2، 1400هـ, والإقناع في القراءات السبع لابن الباذش, تحقيق: د. عبد المجيد قطامش, (2/ 672), دار الفكر – دمشق , ط:1, 1403هـ, و التذكرة في القراءات الثمان, لابن غلبون, تحقيق: أيمن رشدي سويد، (2/ 382), الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة, ط:1, 1412هـ, والتلخيص في القراءات الثمان, لأبي معشر الطبري، تحقيق: محمد عقيل موسى،(ص295), الجمعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ط:1, 1412هـ، والنشر لابن الجزري (2/ 222), وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لأحمد الدمياطي، (ص2/ 156), طبعة أحمد حفني.

يقال: كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِباً وكِذْباً وكِذاباً على وزن "فِعال", وهو كذوب على "فعول" (2).

قال الشاعر ذو الرُّمة: وَقَد حَلَفَتْ بِاللَهِ مَيَّةُ ما الَّذي ... أُحَدِّثُها إِلّا الَّذي أَنا كاذِبُه(3)

واختُلف في الاحتجاج للآية على ثلاثة أوجه:

أجودها: أن الضمير في **چ ۆ چ** عائد على المرسل إليهم؛ لتقدّمهم في قوله: **چ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ھھ چ**[يوسف: ١٠٩], ولأن الرسل تستدعي مرسلا إليه، والضمير في **چ ۈ چ و چ ۇچ** عائد على الرّسل، أي: وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا، أي: كذبهم من أرسلوا إليهم بالوحي وبنصرهم عليهم (4).

واستعمال الضمير في **چ ۈ چ** و**چ ۇچ** جارٍ على سمت الكلام؛ إذ ذُكِر لفظ **چۆچ** ثم أُتبع بالضمير العائد عليهم.

الوجه الثاني: أن الضمائر الثلاثة في **چ ۆ چ** و **چ ۈ چ** و **چ ۇچ** عائدة على الرسّل, ولكن اختُلف في معنى الظّنِّ على قولين:

القول الأول: أنّ الظنّ بمعنى التّوهّم والحسبان، لا بمعناه الأصليّ الّذي هو الشّكّ، ولا بمعناه المجازيّ الّذي هو اليقين, وفاعل **چ ۇچ** المقدّر: إما أنفسهم، أو رجاؤهم, أي: وظنّ الرّسل أنّهّا قد كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون, أو كذبهم رجاؤهم النصر، والمعنى: أن مدة التّكذيب والعداوة من الكفّار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت، حتّى استشعر الرسل القنوط وتوهّموا أن لا نصر لهم في الدنيا، فجاءَهُمْ نَصْرُنا فجأة من غير احتساب(5).

القول الثاني: أنّ الظنّ على بابه من الشّكّ مع التّرجيح, بمعنى: أنّ الرّسل قد ضَعُفوا وساء ظنهم بأنّهم قد أخلفوا, واحتجّ أصحاب هذا القول بأنّ الرّسلَ بشرٌ! لكنّ عائشة -رضي الله عنها- ردّت هذا التّأويل، وتبعها جماعةٌ من أهل العلم, واحتجّوا بأن

---

1 - يُنظر: الحجة للقراء السبعة، لأحمد الفارسي، ت: بدر الدين قهوجي، (4/ 442), دار المأمون للتراث، دمشق، ط:2, ولسان العرب لابن منظور, مادة كذب (1/ 704), والحجة لابن زنجلة (ص366).

2 - الكتاب لسيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون، (4/ 6), مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:3, 1408هـ , ولسان العرب, مادة كذب (1/ 704).

3 - ديوان ذي الرُّمة, لغيلان بن عقبة, ذو الرمة, اعتنى به وشرح غريبه: عبد الرحمن المصطاوي, قافية الباء, (ص27), دار المعرفة - بيروت - لبنان.

4 - يُنظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون, لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي, المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط, (6/ 563), دار القلم، دمشق, وجامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري, ت: أحمد محمد شاكر, (12/ 296), مؤسسة الرسالة, ط:1، 1420هـ, والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, لابن عطية, تحقيق: عبد السلام الشافي، (3/ 288), دار الكتب العلمية, بيروت, ط الأولى 1422هـ.

5 - يُنظر: الحجة للفارسي (4/ 441 - 442), وإملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري، تحقيق: علي البجاوي وآخرون (2/ 747), والحجة لابن زنجلة (367), وتفسير الألوسي (7/ 65), والمعاني في القراءات، للأزهري الهروي، (2/ 53), مركز البحوث في كلية الآداب, جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط:1, 1412هـ, وفتح القدير، للشوكاني، (3/ 73), دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط:1, 1414هـ, ومفاتيح الغيب، للرازي، (6/ 336), (18/ 521), دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:3, 1420هـ , والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تحقيق صدقي محمد جميل، (6/ 335), دار الفكر، بيروت، ط:1, 1420هـ, والدر المصون للسمين الحلبي (6/ 564).

فيه ما لا يليق نسبته إلى الأنبياء -عليهم السّلام-، بل إلى صالحي الأمة؛ فالرّسل لايُتوقّع منهم أن يظنّوا ذلك بالله تعالى؛ لأنّه لا يخلف الميعاد, وقد نحّى بعضهم مذهبًا اعتزاليًا في احتجاجهم بذلك(1)؛ وفي البخاري: (عن عروة عن عائشة قالت له وهو يسألها عن قول الله عز وجل: چڭ ۇ ۆ ۈ چ [يوسف: ١١٠] قال قلت: أَكُذِبُوا أم كُذِّبُوا؟ قالت عائشة: چكُذِّبُواچ -بالتشديد-. قلت: فقد استيقنوا أنّ قومهم كذبوهم فما هو بالظنّ؟ قالت: (أجل! لعمري! لقد استيقنوا بذلك)، فقلت لها:چ ۋ ۅ ۉ ۇُ چ [يوسف: ١١٠], قالت: (معاذ الله! لم تكن الرّسل تظنّ ذلك بربّها). قلت: فما هذه الآية؟ قالت: (هم أتباع الرّسل الذين آمنوا بربهم وصدّقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرّسل - عليهم السّلام- ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرّسل -عليهم السلام- أنّ أتباعهم قد كذبوهم, جاءهم نصر الله عند ذلك) (2).

قال ابن عاشور: (وهذا الكلام من عائشة- رضي الله عنها- رأي لها في التّفسير, وإنكارُها أن تكون "كذبوا" مخففة إنكارٌ يستند بما يبدو من عود الضمائر إلى أقرب مذكور وهو الرسل، وذلك ليس بمتعيّن، ولم تكن عائشة قد بلغتها رواية چ ۇُچ بالتخفيف)(3), وهو الصحيح لأن القراءة بهذا الوجه متواترة ولا يجوز ردّها.

والوجه الثالث: أن الضمائر كلها ترجع إلى القوم المرسل إليهم, ولا يمتنع عود الضمير إليهم وإن كان الذين تقدّم ذكرهم الرسل, لأنّ ذكر الرسل يدلّ على المرسل إليهم, فلهذا جاز أن يحمل الضّمير على المرسل إليهم(4).

ومعنى الآية على هذا: حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم, وظنّ قومهم أن الرّسل قد كَذَبوا فيما ادّعوه من النبوة, وأخلفوا ما وعدوه من النصر, جاء الرسل نصرنا(5).

أو يكون المعنى: ظنّ المرسل إليهم أنّ الرّسل قد كَذَبُوهم فيما أخبروهم به من أنّهم إن لم يؤمنوا نزل بهم العذاب(1).

---

1 - منهم الفارسي في الحجة (4/ 442), والزمخشري في الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (2/ 510), دار الكتاب العربي، بيروت، ط:3, 1407هـ, ويُنظر: التحرير والتنوير (13/ 70), وتفسير الرازي (6/ 336), (18/ 521), والدر المصون للسمين الحلبي (6/ 564- 565), وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية (3/ 288), ومعاني القرآن للزجاج، (3/ 132), عالم الكتب، بيروت، ط:1, 1408هـ.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه الجامع بلفظه عن عبد العزيز بن عبد الله، عن إبراهيم بن سعد، عن صالح، عن ابن شهاب، (6/ 77), برقم (4695), تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر, دار طوق النجاة , ط: 1، 1422هـ

3 - التحرير والتنوير، لابن عاشور (13/ 70).

4 - يُنظر: الحجة للفارسي (4/ 442), والحجة لابن زنجلة (366), وتفسير الرازي (18/ 521).

5 - يُنظر: الحجة للفارسي (4/ 442), والحجة لابن زنجلة (366- 367), والدر المصون (6/ 566), وزاد المسير في علم التفسير،لعبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق عبد الرزاق الرزاق المهدي، (2/ 477), دار الكتاب العربي، بيروت، ط:1, 1422هـ, ومعاني القرآن للزجاج (3/ 132).

وعلى هذا، فإنّ استعمال المضمر موضع المظهر في قوله : ﭽﯙ ﭼ دِلالةٌ على الإعراض عن المكذّبين، و تقبيح فعلهم، وذمّهم، وتهجين ذكرهم بالاسم الظاهر الدال على الاهتمام بالمذكور و التّنبيه لشأنه.

ويقوّي هذه القراءة قوله تعالى: ﭽﮱ ﯓ ﯔ ﯕﭼ [التوبة: ٩٠] , وقياسه: إذا اعتبر بالخلاف أن يتعدى إلى مفعولين، كما تعدّى "صَدَق" في قوله: ﭽﮯﮰ ﮱ ﯓ ﯔﯕﭼ [الفتح: ٢٧] (2).

ب– الاحتجاج لقراءة ﭽكُذِّبُوا ﭼ بالتشديد:

في تفسيرها وجهان:

الأول: أن الضمائر كلّها تعود على الرسل, والظنّ هنا بمعنى اليقين, ومعنى الآية: حتّى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم, وظنّوا وأيقنوا أنّ قومهم قد كذّبوهم, جاءهم نصرُنا.

وقيل: ليس الظنّ هنا بمعنى اليقين, بل هو على بابه بمعنى الشّك, فلفظه موافقٌ لمعناه. ومعنى الآية على هذا: حتّى إذا استيأس الرّسل وحسبوا بأن من قد آمن بهم من قومهم قد كذّبوهم, جاءهم نصر الله عند ذلك, لا أن القوم كذّبوا، ولكن الأنبياء ظنّوا وحسبوا أنّهم يكذّبونهم، أي خافوا أن يدخل قلوب أتباعهم شك(3).

وحجّتهم في ذلك: أن ذكر الرسل قد تقدّم، ولم يتقدّم ذكر المرسل إليهم فيُجعل الضمير لهم, وإذا كان كذلك فالأولى أن يجعل الضمير للرّسل، فيكون الفعلان للرّسل، ويصير كلاما واحدا(4).

ومعنى ﭽكُذِّبُواﭼ: تلقّوا واسُتقبلوا بالتكذيب، كقولهم: حيّيته، وخطّأته و فسّقته، وجدّعته، أي: استقبلته بحيّاك الله، وجدعك الله وسقاك الله، فتكذيبهم إيّاهم يكون بأن تلقّوا بذلك كقوله: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭﭼ [الشعراء: ١٨٦], أو بما يدل عليه، وإن خالفه في الّلفظ(1).

---

1 – يُنظر: تفسير الألوسي (7/ 65), والمعاني في القراءات للأزهري الهروي (2/ 53), وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس، تعليق عبد المنعم إبراهيم،(2/ 217), دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1, 1421هـ, وتفسير القرطبي (9/275).

(9/ 275), وفتح القدير للشوكاني (3/ 73), والدر المصون، للسمين الحلبي (6/ 566), وزاد المسير لابن الجوزي (2/ 477), ومعاني القرآن للزجاج (2/ 510).

2 – يُنظر: الحجة للفارسي (4/ 442), والحجة لابن زنجلة (366).

3 – يُنظر: الحجة للفارسي (4/ 442), والحجة لابن زنجلة (366– 367), وتفسير الألوسي (7/ 65), والمعاني في القراءات للأهري الهروي (2/ 53), وإعراب القراءات للنحاس (2/ 217), ومعاني القرآن للفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون،(2/ 56), دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط: 1, وتفسير القرطبي (9/ 275), والدر المصون للسمين الحلبي (6/ 565– 566), وزاد المسير لابن الجوزي (2/ 477).

4 – يُنظر: الحجة لابن زنجلة (367).

ويُلحظ دخول حرف التّحقيق على الفعل الماضيّ المبنيّ للمجهول، وفي هذا دِلالة على رسم التّعبير القرآنيّ صورة النّفس المؤمنة من خلال تصوير الألفاظ للمدلولات؛ فتحقيق تكذيبهم في نفوس الرّسل مناسبٌ لمدلول اللّفظ و صوته، وهذا من الإعجاز باعٌ جليل، كما أنّ الرسل لا يعنيهم الطرف المكذّب، فمجيئُه فعلا مبنياً للمجهول مبرهنٌ على هذا، إنّما يعنيهم تكذيب الأقوام للرسالة الحقّة، و استياؤهم من تأخّر قبولهم لها واستجابتهم لداعي الفِطَر فيهم، وتسليط الضّوء على التكذيب دون فاعله يدل على عناية الرسل بالرسالة المنوط لهم نشرها، وحزنهم على فوات نفعها في قلوب من لم يؤمنوا.

والوجه الآخر: أن الضمير في ﭽ ﯙ ﭼ يرجع إلى المرسل إليهم; وفي ﭽ ﯚ ﭼ و ﭽ ﯛﭼ يرجع إلى الرّسل؛ أي أنّ القوم ظنّوا أنّ الرّسل قد كذبوا فيما جاءوا به من الوعد والوعيد(2)، وهذا التوجيه يلحظ فيه سبر أغوار خفايا تلك النّفوس وما اعتراها من مشاعر و أحاسيس ظاهرة وباطنة، ماديّة ومعنويّة، حتّى في ظنّهم الكاذب، وتهيُّئِهم على الرّسل خلاف الحقّ.

ودليل التّثقيل قوله تعالى: ﭽﭒ ﭓﭼ[فاطر: ٤], وقوله: ﭽﯚ ﯛﭼ[سبأ: ٤٥]، وقوله: ﭽ□ □ □ □ ى ﭼ[ص: ١٤] (3).

ثانيًا: اختلافهم في قوله تعالى: ﭽﯤ ﯥﭼ [يوسف: ١١٠].

أولا: القراءات:

قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بنون واحدة مضمومة، وبعدها جيم مشدّدة، وبعد الجيم ياء مفتوحة ﭽﯤ ﯥﭼ، وقرأ الباقون بنونين: الأولى مضمومة، والثانية ساكنة، وبعد الثانية جيم مخففة، وبعد الجيم ياء ساكنة مدية ﭽ فنُنْجِي ﯥﭼ(4).

ثانيًا: الاحتجاج للقراءات:

أ– الاحتجاج لقراءة ﭽفَنُنْجيﭼ بنونين وتخفيف الجيم وإسكان الياء:

من أنجاه ونجاه فنَجَى(5), والفاعل: ضمير مستتر جوازًا تقديره نحن, وهو من فعل الله عز وجل, و"من" في محل نصب مفعول(1).

---

1 – يُنظر: الحجة للفارسي (4/ 441 – 442).

2 – يُنظر: الإملاء للعكبري (2/ 747), وفتح القدير للشوكاني (3/ 73).

3 – يُنظر: الحجة للفارسي (4/ 441 – 442), والحجة لابن زنجلة (367).

4 – يُنظر: السبعة لابن مجاهد (352), والإقناع لابن الباذش (2/ 673), والتذكرة لابن غلبون (2/ 382), والتلخيص للطبري(295), والنشر لابن الجزري (2/ 222), والإتحاف للدمياطي (2/ 157).

5 – يُنظر: الكشاف للزمخشري (2/ 510), والبحر المحيط لأبي حيان (6/ 336), والدر المصون، للسمين الحلبي (6/ 567), والتحرير والتنوير، لابن عاشور (13/ 70).

بمعنى: فننجي نحنُ من نشاء من رسلنا وعبادنا المؤمنين دون الكافرين الذين كَذَّبوا رُسلنا، إذا جاء الرسلَ نصرُنا ونزل العذابُ بالكافرين(2).

وحجّتهم قوله: چﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕچ[غافر: ٥١], وقوله: چفنُنْجِي ﯙ ﯚچ حكايةُ حال الأمر من القصة فيما مضى، كما أن قوله: چ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ چ[القصص: ١٥]، إشارة إلى الحاضر، والقصة ماضية؛ لأنه حكى الحال(3).

وهناك حجّة أخرى وهي أنّه: إنّما كتب في المصحف بنون واحدة، وحكمه أن يكون بنونين؛ لأن إحدى النّونين حرفٌ من أصل الكلمة، والنون الأخرى هي التي تأتي لمعنى الدّلالة على الاستقبال، من فعل جماعةٍ مخبرةٍ عن نفسها، لأنّ النّونين حرفان من جنس واحدٍ, وقد أخفيت النّون الثّانية، فلمّا خفيت حذفت من الخط, واكتُفي بالنون الأولى منهما، كما يُكتفى بحرف من الحرفين المدغمين ويكتبان حرفًا واحدًا(4).

وعلى هذا الاحتجاج يكون تكرار النّون لفتاً للذهن والسمع إلى صوتها برنين هادئٍ مناسبٍ لنجاة الله سبحانه من شاء بعد اليأس والتّكذيب؛ سلوى منه وعوضاً.

ودليل هذه القراءة قوله تعالى: چ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ چ [يونس: ١٠٣], وقوله: چﮒ ﮓ ﮔ ﮕ چ [مريم: ٧٢], وقوله: چ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ چ [الأنبياء: ٨٨].

ب– الاحتجاج لقراءة چﯙﯚچ بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء:

على لفظ الماضي المبنيّ للمفعول, مضارع نجّى(5), وحُذفت النّون الثّانية لاجتماع النونين، كما يقول قائلٌ: أنت تبيّن هذا الأمر، يريد تتبين، فحذف لاجتماع تاءين(6), و "من" في محل رفع نائب الفاعل(7), والّذين نجاهم الله هم الرّسل ومن آمن معهم، وأهلك المكذبين(1).

---

1 – يُنظر: الدر المصون للسمين الحلبي (6/ 567), وفتح القدير للشوكاني (3/ 73), و التحرير والتنوير، لابن عاشور (13/ 70), ومعاني القراءات، للأزهري (2/ 53).

2 – يُنظر: تفسير الطبري (16/ 311), وتفسير القرطبي (9/ 277).

3 – يُنظر: الحجة لابن زنجلة (368), والحجة للفارسي (4/ 445).

4 – يُنظر: تفسير الطبري (16/ 311), ومعاني القرآن للزجاج (3/ 132), ومعاني القرآن للفراء (2/ 56), والحجة للفارسي (4/ 445).

5 – يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (13/ 70), والحجة لابن زنجلة (367), والإملاء للعكبري (2/ 747), وتفسير الألوسي (7/ 68).

6 – يُنظر: الكشاف للزمخشري (2/ 510), ومعاني القرآن للزجاج (3/ 132).

7 – يُنظر: الدر المصون للسمين الحلبي (6/ 567), وفتح القدير للشوكاني (3/ 73), والتحرير والتنوير لابن عاشور (13/ 70), وتفسير القرطبي (9/ 277), والإعراب للنحاس (2/ 17), ومعاني القراءات للأزهري (2/ 53).

وهناك حجّتان لمن قرأ بهذه القراءة، **الأولى**: أنّ القصة ماضية، فأُتي بـ"نُجِّي" على لفظ الماضي، ويقوّي هذا أنه قد عطف عليه فعلٌ لم يسمّ فاعله وهو قوله: ﭽ ﯼ ﯽ ﭼ [يوسف: ١١٠], ولو كان ننجي مسندا إلى الفاعل كقول من خالفه لكان الفعل "ولا نرد"؛ ليكون مثل المعطوف عليه(2), والجمع بين الماضي في ﭽ ﯘ ﭼ والمضارع في ﭽ ﯙ ﭼ احتباكٌ، تقديره: فنُجّيَ من شئنا ممّن نجا في القرون السالفة من عذاب الله, وننجي من نشاء في المستقبل من المكذّبين, أي: من يشاء الله تنجيته(3).

ويلحظ في الآية القرآنيّة ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ تقديم النصر على النجاة، لأن نصر الله قمة ابتداءٍ، و النجاة قمة انتهاء، ولا يُتوسط بين النّصر والنّجاة إلا الفاء المفيدة للترتيب مع التعقيب، دون تراخٍ، وهذا يومئ لليسر مع العسر، والفرج بعد الضيق.

والحجّة الأخرى: أنّ المصاحف اتّفقت على كتابتها بنون واحدةٍ ﭽ ﯘ ﭼ وقد نقل مكي أنّ أكثر المصاحف عليها، فأشعر هذا بوقوع خلاف في الرّسم، ورجّح أيضا بأنّ فيها مناسبةٌ لما قبلها من الأفعال الماضية, وهي جارية على طريقة كلام الملوك والعظماء من حيث بناء الفعل للمفعول(4).

… … … … … … …

الخاتمـة

الحمد لله الّذي بنعمته تتم الصالحات, والصلاة والسلام على نبيّه المبعوث بالهدى والرحمات, وبعد:

فهذا ما يسّره الله بفضله من البحث في موضوع (الاحتجاج للقراءات القرآنيّة في خاتمة سورة يوسف و أثره في المعنى), من خلال عرض ودراسة موضعي القراءات المختلف فيهما, وتوجيههما لغًة وإعرابًا وتفسيرًا؛ لتُستخلص بذلك ثمرة الخلاف فيها من ناحية المعنى.

وكانت أهم النتائج المنبثقة عن البحث تتلخّص في بيان أهميّة القراءات القرآنيّة في كونها رافداً من روافد اتّساع المعاني في الآية القرآنيّة الواحدة، وتأكيد أنّ القراءات جميعها حقٌّ، واختلافها حقٌّ؛ لأنّه اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضادّ وتناقض، واختلاف

---

1 – يُنظر: فتح القدير، للشوكاني (3/ 73).

2 – يُنظر: الحجة لابن زنجلة (367), والحجة للفارسي (4/ 445), والكشف لمكي بن أبي طالب (2/ 127).

3 – يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (13/ 70), ومعاني القراءات للأزهري (2/ 53).

4 – يُنظر: الكشف لمكي بن أبي طالب (2/ 127), وتفسير الرازي (18/ 522), والدر المصون للسمين الحلبي (6/ 568), وفتح القدير للشوكاني (3/ 73), وتفسير القرطبي (9/ 277), ومعاني القرآن للفراء (2/ 56), وتفسير الألوسي (7/ 69).

التضادّ والتناقض لا يوجد في الشّرع كلّه ولله الحمد، كما أن اختلاف القراءات يقدّم لعلماء اللّغة والفقه والتّفسير مادّة علميةً هامّة لا غنى عنها، لاسيما باعتبار القراءات القرآنية مصدرًا مهمًّا من مصادر الاحتجاج اللُّغويّ, والاستشهاد النَّحْويّ،و تقرير أنّ تعدد القراءات هو بمنزلة تعدد الآيات، فيه من البلاغة الظاهرة في كلّ وجه؛ فهو ضرب من الإعجاز القرآني، لا يستطيع أن يأتي به بشر قط من عنده، ولا يستطيع أن يبلغه على هذا الوجه الشامل إلاّ رسول من عند الله حقاً.

هذا وأقول لجميع إخواني الدّارسين من أولي النّهى و الحجى: أليْس من الأولى بنا ونحن نتصدّى للبحث في حقول العلوم اللُّغويّة والتّفسيريّة أن نُعيد دراسة ما لدينا من تراثٍ وكنوز برؤية مستنيرةٍ تكشف خبايا أسرار كتاب اللّه تعالى المتجدّدة المستمرّة؟

أقول ما سلف، و أسأل الله أن يجعل لي في مغفرته خلف.

… … … … … … … …

ثبتٌ بأهمّ المصادر والمراجع

1. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد الدمياطيّ،الشهير بالبناء، طبعه ونشره عبد الحميد أحمد حنفي , مصر – القاهرة.
2. الإتقان في علوم القرآن, لجلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ط: 1394هـ/ 1974 م.
3. (الاحتجاج للقراءات) بحث منشور للدكتور عبد الفتاح شلبي, مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي, العدد الرابع 1401هـ.
4. إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس المرادي, وضع حواشيه وعلق عليه عبد المنعم إبراهيم, منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية-بيروت,ط:1, 142هـ.
5. الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش, ت: د. عبد المجيد قطامش, دار الفكر– دمشق,ط:1، 1403هـ
6. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن, المعروف بالتبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري, ت:علي محمد البجاوي, عيسى البابي الحلبي وشركاه.
7. البحر المحيط في التفسير,لأبي حيان محمد الأندلسي, ت:صدقي محمد جميل, دار الفكر –بيروت, ط: (1420 هـ).
8. البرهان في علوم القرآن, لأبي عبد الله الزركشي, ت: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاؤه, ط:1، 1376 هـ .
9. البيان في عدّ آي القرآن, لعثمان بن سعيد الداني, ت: غانم قدوري الحمد, مركز المخطوطات والتراث - الكويت, ط:1، 1414هـ- 1994م.
10. التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي, الدار التونسية للنشر – تونس, ط: 1984 هـ.

11. التذكرة في القراءات الثمان, لابن غلبون, تحقيق أيمن رشدي سويد, الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة, ط:1، 1412هـ.
12. التلخيص في القراءات الثمان لأبي معشر الطبري, تحقيق محمد عقيل موسى, الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة, ط:1، 1412هـ.
13. تهذيب اللغة لمحمد الأزهري الهروي, ت: محمد عوض مرعب, دار إحياء التراث العربي – بيروت, ط:1، 2001م.
14. جامع البيان في القراءات السبع لأبي عمرو الداني, جامعة الشارقة – الإمارات, (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة), ط:1، 1428 هـ، 2007 م.
15. جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري, ت: أحمد محمد شاكر,مؤسسة الرسالة, ط:1، 1420 هـ.
16. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل الجعفي, ت: محمد زهير بن ناصر الناصر, دار طوق النجاة, ط:1، 1422هـ.
17. الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي, لأبي عبد الله شمس الدين القرطبي, تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, دار الكتب المصرية–القاهرة, ط:2،1964 م.
18. حجة القراءات لعبد الرحمن أبو زرعة ابن زنجلة, محقق الكتاب ومعلق حواشيه سعيد الأفغاني, دار الرسالة, ط:5, 1418هـ
19. الحجة للقراء السبعة للحسن بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل, ت:بدر الدين قهوجي- بشير جويجابي, تدقيق عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق, دار المأمون للتراث-دمشق, ط:2، 1413 هـ - 1993م.
20. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون, لأبي العباس، المعروف بالسمين الحلبي, ت: د:أحمد محمد الخراط, دار القلم, دمشق.
21. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, لشهاب الدين الألوسي, ت: علي عبد الباري عطية, دار الكتب العلمية – بيروت, ط:1، 1415 هـ.
22. زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج الجوزي, ت:عبد الرزاق المهدي,دار الكتاب العربي - بيروت, ط:1، 1422 هـ.
23. السبعة في القراءات, لأبي بكر بن مجاهد البغدادي, ت: شوقي ضيف, دار المعارف– مصر, ط:2، 1400هـ.
24. شرح الهداية للإمام أبي العباس المهدوي, ت: حازم سعيد حيدر, دار عمار بالأردن, ط:1،1427هـ.
25. صفحات في علوم القراءات,لأبي طاهر عبد القيوم السندي, المكتبة الإمدادية, ط:1- 1415 هـ.
26. الفرائد الحسان في عد آي القرآن, لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: 1403هـ), (ص25), مكتبة الدار بالمدينة المنورة, ط:1, 1404هـ.
27. فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام, لعبد الرحمن بن ناصر السعدي, ت: أشرف بن عبد المقصود أبو محمد, الناشر:أضواء السلف, 1420هـ - 200م.
28. القراءات وأثرها في التفسير والأحكام, لمحمد بن عمر بن سالم بازمول, دار الهجرة – الثقبة،ط:1 - ط 1417هـ
29. الكتاب لعمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب سيبويه, ت: عبد السلام هارون, مكتبة الخانجي، القاهرة, ط:3، 1408 هـ .
30. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل, لأبي القاسم محمود، الزمخشري, دار الكتاب العربي – بيروت, ط:3 ، 1407 هـ

31. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها, لأبي محمد مكي القيسي, ت: الشيخ عبد الرحيم الطرهوني, دار الحديث – القاهرة, ط: 1428هـ - 2007م.
32. لسان العرب لمحمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الأنصاري, دار صادر – بيروت, ط:3 - 1414 هـ
33. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد ابن عطية الأندلسي, ت: عبد السلام عبد الشافي محمد, دار الكتب العلمية - بيروت, ط:1 - 1422 هـ.
34. معاني القراءات لمحمد الأزهري الهروي، أبو منصور, مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية, ط:1، 1412 هـ - 1991 م.
35. معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء, ت: أحمد يوسف النجاتي و محمد علي النجار و عبد الفتاح إسماعيل الشلبي, دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر, ط:1.
36. معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج, عالم الكتب – بيروت, الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م.
37. مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير لفخر الدين الرازي, دار إحياء التراث العربي – بيروت,ط:3 - 1420 هـ.
38. مقدمات في علوم القراءات لمحمد أحمد القضاة، وأحمد خالد شكرى، ومحمد خالد منصور, (136-137), دار عمار - عمّان, ط:1, 1422هـ.
39. النشر في القراءات العشر لشمس الدين ابن الجزري, ت: علي محمد الضباع, المطبعة التجارية الكبرى.